اسم الدرس : الحور بعد الكور (٢) | الثبات في وقت الفتن

تصنيف الدرس : تربويات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

درس اليوم بإذن الله -عز وجل- يُعتبر تكملة للدرس السابق: الحَور بعد الكَوْر، يمكن تسميته الحَور بعد الكَور الجزء الثاني.

❖ نبذة عن الدرس الأول:

* تكلمنا في الدرس الأول عن معنى الحَور بعد الكَور، وخطورة الرجوع والنّكوص أو أنّ الإنسان ينزل إلى درجة لم يكن فيها وكان قد مَنَّ الله -سبحانه وتعالى- عليه بالارتقاء في الدين، ثم نزل إلى درجة معينة أقل مما كان فيه.

* وتكلمنا في الدرس الماضي أنّ الدرس كان مُوجَّه -وهذا الدرس أيضًا بإذن الله سبحانه وتعالى- خصوصًا للعاملين لدين الله، للذي يقف على ثَغر من الثغور، الذي حاول أن يعمل في أي ثَغر من الثغور ينصر به دين ربنا -سبحانه وتعالى-، ليس مجرد أنّ الإنسان كان يعمل طاعة وتركها.

عموم الدروس التي تجدونها -إن شاء الله- عندكم على موقع: ((إنه القرآن)) تحت تقسيم "التربويات" هي دروس تخاطب الملتزِم السائر في الطريق إلى الله -سبحانه وتعالى-، وبالتالي إذا سمع أحد أيّ مجموعة من هذه الدروس وأحسّ أن الكلام صعب هذا ناتج من التّدرج، وهذا طبيعي كما ذَكرنا في الدرس الماضي أنّ الإنسان أثناء السير الله -سبحانه وتعالى- يحتاج إلى تدرج.

* في المرة السابقة حاولنا أن نتكلم قدر المستطاع، وكما قلتُ أنه كان أشبَه بفضفضة وليس استقصاء، كانت عن الأسباب التي يمكن أن تؤدي أنّ إنسانًا كان يعمل في الدين ويقع، حاولنا أن نأتي ببعض العوامل.

❖ أسباب الثبات:

في درس اليوم أريد أن أتكلم عن محور ثاني، الدرس الماضي كان فيه نوع من الإحباط والاكتئاب والنظرة السوداوية، أنت قلت أن الواقع والأزمات و...و...و...، هذا يجعل كثير من النّاس يتراجع أو يترك

الطريق، وذكَرت أسباب الرجوع والنكوص، اليوم أريد أن أتكلم عن الثبات، حتى لو سنحاول أن نضع عنوان الحَور بعد الكَور الجزء الثاني، ولكن أسباب الثبات في زمن هذه الفتن والابتلاءات التي نمر بها.

بالطبع أسهل وسيلة لأسباب الثبات هي عكس الأسباب السابقة، بمعنى أن الدرس اليوم من الممكن أن يُلَخّص بكل بساطة أن نعكس السبع أو الثمان نقاط التي ذكرناها المرة الماضية، فنضيف للنقاط التي سنذكرها اليوم بالطبع، هذا أمر بديهي أن نعكس الأسباب السابقة.

فلذلك أنا أُفضِّل أن هذا الدرس يُسمع بعد الدرس الأول، بمعنى أنه يُفضَّل ألا تستمع لهذا الدرس أولاً، ولكن تستمع لدرس: الحَور بعد الكَور الجزء الأول، وبعد ذلك تسمع هذا الدرس؛ لأن هناك نقاط سأقولها تترتب على ما قيل في الدرس الماضي.

إذًا ذكَرنا أنّ أحيانًا تمرّ على الأمة الإسلامية من لَدُن بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- بل من لَدُن آدم إلى قيام الساعة، تمرّ مراحل قوة ومراحل ضعف، وهذا من تدبير الله -سبحانه وتعالى- ومن حكمة ربنا -سبحانه وتعالى-. قال ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران ١٤٠] **الدَّولة** بمعنى: الغَلَبة، تكون مرة للمسلمين ومرة للمشركين.

ربنا -سبحانه وتعالى- له حكمة من ذلك، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، إذًا إذا كان الوقت كله دائمًا انتصار، لو الوقت كله دائمًا تمكين؛ بعض ضِعاف الإيمان لن يظهروا، أو هناك عبوديات لن تظهر؛ فهناك عبوديات لا تظهر إلا في وقت الاستضعاف، هناك عبوديات من البذل والتضحية ونصرة الدين؛ عبوديات تخرج في وقت الأزمة لا يمكن أن تخرج في وقت التمكين. فمن الحِكَمة أن يحدث هذا؛ لذلك قال ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، وكيف تظهر الشهادة إلا في موطن قتال وموطن يُستَضعف فيه الإنسان؛ فيبذل روحه ودمه نصرةً لدين الله -سبحانه وتعالى-.

❖ حالة الارتخاء الديني:

هذا الواقع الذي نمرّ به، قلنا أنّ هناك أزمات اقتصادية، وأزمات سياسية، صراحةً نحن في فترة النّاس تشعر بضعف الدين، وأصبح أشبه بموسم خلع الحجاب، موسم الابتعاد عن الدين، من كثرة الضيق الذي يمرّ به الإنسان السالك في طريق الله والعامل لدين الله، وحين أقول كلمة الملتحي والمنتقبة -حتى لا

ندخل في الحساسيات والمصطلحات- لا أقصد أنّ الملتحي والمنتقبة هؤلاء شيء معين أو أنّ هذا معنى علامة التزام معين، لكن هذا بالتأكيد كما ذكرتُ في الدرس الماضي أنّ أحيانًا يكون هذا علامة انتقال من واقع إلى واقع، وحتى من يحب أن ينغص على شخص ملتزم، ينغص على الملتحي والمنتقبة؛ لأنها العلامة الظاهرة.

فأحيانًا نتيجة الظروف التي يتعرض لها الملتحي أو المنتقبة أو أيّ شخص تظهر عليه علامات الالتزام أو البذل أو داعية أو غير ذلك، من كثرة الضغط عليه عندما يكون سائرًا في طريق معين، فيوقفون الملتحي ويزعجون المنتقبة، فأحيانًا يشعر في وقت معين باستضعاف وليست هناك نُصرة دين ولا جَوّ الدين العام فيقول: أنا اللحية تمنعني أنني أمرّ من هذا الطريق مثل بقية النّاس أو أنّ حياتي تكون مثل بقية النّاس؟ إذًا سأحلقها.

كذلك النقاب؟ إذًا سأخلعه، يعني هذا يمنعني أن...، أحيانًا الوسوسة عند الضعف، في وقت ضعف الإيمان ماذا تقول المرأة لنفسها؟ أن هذا يمنعني أن أعيش حياتي مثل بقية النّاس وأتحرك بحرية، إذًا سأخلع النقاب، هل قطعة القماش هذه هي التي ستفرق في الدين؟ والقضية ليست مجرد خلع نقاب ولا مجرد حلق لحية، لكنها علامة أن الشخص مازال يتراجع.

كما قلتُ هناك فارق بين من ترك طاعة معينة ويمارس كل أنواع الطاعات الأخرى، مثل أخت تعمل في الدعوة في الغرب، وحصل مضايقات لقضية النقاب؛ فخلعت النقاب، واستمرت في كل أعمال الدين من الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، أو القرآن، أو تربية الأولاد، أو غير ذلك، هنا هذا لا يُطلق عليه انتكاس أبدًا، هنا يوجد ظروف معينة خاصةً لو ترى الأخت بالاستحباب للنقاب، هنا لم يحدث أي شيء، بالعكس ممكن يكون الأفضل في حقها أنها تفعل ذلك، أو لو أخت ثانية لو هي رمز معين وترى بالوجوب فالأفضل لها الثبات.

ليس هذا ما أتناقش فيه، أنا أتناقش في أنّ إنسان -كما قلتُ في المرة السابقة- يحصل له نوع من التغيُّر المفاهيمي، فنتيجة ضعف الإيمان ماذا يقول؟ يقول إذًا أتحرر من هذه القيود؛ قيود الالتزام أو قيود الدين وأعيش كبقية النّاس، وللأسف هذا موجود.

جيد أنني تذكرت كي أنبّه عليه: للأسف نتيجة الاكتئاب والأزمات التي نمر بها هناك أُناس تتجه للأطباء النفسيين، وبعض الأطباء النفسيين -وأنا فوجئت أن هذا الموضوع يتكرر للأسف- بدأوا يعطون نصائح

لمثلًا المنتقبة فيقول لها: اخلعي النقاب وعيشي حريتك، والنقاب يقيِّدك، وهذا للأسف أنا لست متخيل مدى فهم الطبيب النفسي كيف يفعل ذلك؟ ولماذا يظن أنّ النقاب عائق أو أنّ الحل في أن يعطي نوعًا من التحرر؟

الشاهد وَجَب فقط التحذير من هذه النقطة؛ أن الأخوات لا تستمع بصورة استسلامية لرأي الأطباء النفسيين في قضية خلع النقاب، وأنا سمعت أكثر من حالة في هذا الموضوع.

إذًا نحن في حالة من الارتخاء الديني، أصبح بكل سهولة لماذا أعرّض نفسي للأذى؟ لماذا أُضع نفسي في نوع من الاضطراب؟ لماذا أعيش حياة من الضيق؟ وخاصةً كما قلت أحيانًا كانت تأتي فترات يكون السوق الرائج أنّه يلتحي أو أنّها تنتقب، كانت حتى تتزوج تنتقب، لكن الآن العكس، حتى تتزوج تخلع النقاب.

((فأحيانًا تمر أزمات؛ ليرى الله -سبحانه وتعالى- هل أنت تعبده -سبحانه وتعالى- في كل الظروف، أم أن الإنسان يتقلب حسب الظروف؟))

❖ مواقف للصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم:

نحن دائمًا لابد أن نرجع لهَدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومواقف من الصحابة مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، هذا زادنا الذي نرجع إليه، هل مرّ مواقف على النبي -صلى الله عليه وسلم- حصل فيها حالة من الانفضاض؟ أن النّاس كانت تبتعد كما نرى نحن الآن النّاس تبتعد؟

في فترة من الفترات كان درس لشيخ من المشايخ الكبار يحضره ألوف مُؤلَّفة، الآن لا يوجد دروس أساسًا، إذا وُجد تجد عددًا قليلًا وتجد الإقبال -مثل ما ذَكَرت المرة السابقة- على طلب العلم أصبح قليلًا جدًّا، والإقبال على الدعوة، والإقبال على حفظ القرآن وتحفيظ القرآن أصبح فيه قلة، لكن هناك أناس ثابتة بفضل الله.

* هل هناك مواقف مرّت على النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها حالة من الانفضاض؟

- هناك أكثر من موقف، أشهَر ثلاث مواقف الإنسان عندما يعيشهم ويعايشهم يجد فعلًا أن الدين كان يمر بأوقات فيها أناس تبتعد وأناس تَثبُت:

١. موقف قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾[الجمعة ١١] ، النبي -صلى الله عليه وسلم- ظل قائمًا في وقت خطبة الجمعة ومرور الفتنة، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ سواء أنّ الإنسان محتاج، ضيق في الرزق فيحتاج إلى تجارة، أو أحيانًا مضغوط يظن أنّه يحتاج نوعًا من الترفيه واللهو، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾هذه من أكثر الأسباب التي تجعل الإنسان ينفضّ.

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم بقي معه ما يَقرُب من اثني عشر رجلًا، اثنا عشر شخصًا ظلوا مع النبي -صلى الله عليه وسلم-. وفي بعض الروايات رُوي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وإن كان الحديث مَرويًا عن التابعين عن قتادة والحسن وغيره أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لو تَتَابعوا جميعًا) بمعنى أنه لو قام كل النّاس (لاشتعل عليهم الوادي نارًا)[١]، إذًا هذا الجالِس هذا كان هو عنصر الأمان.

((بمعنى أن ثباتك هذا سيجعل -بفضل الله- أنّ هناك عنصر أمان عام))

لماذا أذكر هذه النقاط الآن؟ قلت أنني أريد أن أَذكُر اليوم في الدرس -حتى تكون أدمغتنا مرتبة- أريد أن أَذكُر **أسباب الثبات**:

أول عنصر من عناصر الثبات، -وهذا كنت أريد أن أؤجّله لكن سأذكره الآن-: **أن تتذكر ثواب الثبات في وقت الفتن، في وقت الابتلاءات، في وقت انفضاض النّاس، في وقت هروب النّاس، في وقت بُعد النّاس عن الدين، أن تَثبُت أنت هذا ثوابه عالي جدًّا.**

لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال أنّ الذين مكثوا ولم ينفَضُّوا إلى التجارة واللهو هؤلاء كانوا هم الأمان.

٢. ربنا -سبحانه وتعالى- أيضًا قال في الموقف الثاني -الموقف الأول: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾- الموقف الثاني في غزوة أُحُد: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾[آل عمران ١٥٣] تنطلقون في

[١] [عن جابر بن عبدالله]: بَيْنا النَّبيُّ ﷺ يخطُبُ يومَ الجُمعةِ وقدِمَتْ عِيرٌ المدينةَ فابتدَرها أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ حتّى لم يَبْقَ معه ﷺ إلّا اثنا عشَرَ رجُلًا فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (والَّذي نفسي بيدِه لو تتابَعْتُم حتّى لا يبقى منكم أحَدٌ لسال لكم الوادي نارًا) فنزَلَتْ هذه الآيةُ: {وَإذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِمًا} [الجمعة: ١١] وقال: في الاثني عشَرَ الَّذينَ ثبَتوا مع رسولِ اللهِ ﷺ أبو بكرٍ وعُمَرُ
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٦٨٧٧ • أخرجه في صحيحه •

صعيد الأرض، أو تصعدون على الجبل، أنتم تركضون وتتركون النبي -صلى الله عليه وسلم-. ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ ولا تلتفتون.

هذا أحيانًا يحصل الآن أنّ النّاس بدأت تترك الدين وتترك ثغور الدين ولا يلتفت إلى من سيمسك مكانه الثغر، لا يلتفت لأحد مكانه يقول له: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف ١٤٢] أنت تحمَّل عني الثغر، لا يمكن أن يهاجر شخص ويترك كل ثغور الدين؛ ولكن من الذي سيحمل مكانك؟

شخص فتح الله -عز وجل- عليه في العلم، شخص فتح الله -عز وجل- عليه في الدعوة ثم يترك ثغره دون أن يستخلف أحدًا مكانه، وهذه الثغور تتساقط وهو لا يلتفت، هو لم يعد يشغل باله أصلًا من الذي سيحمل هذا الثغر؟

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾[آل عمران ١٥٣] في هذا الوقت ثبت أناس مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان ثوابهم عالٍ، ثبت أناس مع النبي في خطبة الجمعة، ثبت أناس مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة أحد.

٣. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[التوبة ٢٥] يوم حنين حين قال أحد النّاس في وسط الغزوة: "لن نُهزم اليوم من قلة". هذه الكلمة -وهذه خطورة الكلمات- أثرت في بعض نفوس المجاهدين مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فشعروا بنوع من الاسترخاء، أنّ الأمر لا يحتاج بذل قوة، وإنما يحتاج بذل جهد، ونحن عددنا كبير، نحن عشرة آلاف أو أكثر، لسنا بحاجة لنفس العدة والعتاد والافتقار إلى الله -سبحانه وتعالى-.

فكان الأمر أنهم تعرضوا لهزيمة في أول الأمر ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ وحدث أنه كأن الأرض قد ضاقت عليهم وبدأت النّاس فعلًا يفرون، وتركوا النبي -صلى الله عليه وسلم- على بغلته، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- بجواره العباس وكان جهوري الصوت وقال: "يا عباس نادي على النّاس"، العباس عندما نادى أمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ينادي على النّاس حتى ترجع، هذا هو المشهد الذي يحصل الآن، أن النّاس تنفض ونحن نحتاج أحدًا ينادي على النّاس حتى يرجعوا مرة أخرى.

* فالعباس نادى على من؟

- لم ينادي على أي أحد، في بعض الروايات قال: (يا أصحاب سورة البقرة)[٢]، (ويا أصحاب السمرة)[٣] أي البيعة بيعة الشجرة، النّاس التي بايعت.

النّاس الذين في أول التزامهم أخذوا عهدًا مع ربنا أنهم يكملوا في الطريق، النّاس الذين حفظوا سورة البقرة، النّاس الذين كان عندهم معاني إيمانية عالية في أول الطريق، أين هذه المعاني؟ ننادي عليهم الآن ارجعوا إلى هذا الطريق، اثبتوا على دين الله -سبحانه وتعالى-. أن تستمر في نصرة هذا الدين مهما مرّ عليك من ابتلاءات، من فتن، من تضييق، أيًا كانت الأسباب لابد أن تستمر حتى تضع قدمك في الجنة.

القضية ليست أن تتوقف في منتصف الطريق ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾[آل عمران ١٤٦] أن تستمر في الطريق ثوابهم عالٍ جدًا.

❖ فضل الثبات وقت الفتن:

- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (عبادةٌ في الهرج) النّاس كلها منفضة كما قال الإمام النووي "هذه لا يفعلها إلا أفراد". هذا هو ما يحصل الآن؛ أنّ الثبات لم يعد ثباتًا جماعيًا، أصبح حاليًا الذي يثبت مجرد أفراد (عبادة في الهرج كهجرة إلي)[٤]، ثواب الهجرة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.

---

[٢] [عن كثير بن عباس]: كان عبّاسٌ وأبو سُفيانَ معَه يَعني النبيَّ ﷺ قال: فخطَبهم وقال: الآنَ حَمِيَ الوَطيسُ وقال: نادِيا أصحابَ سورةِ البقرةِ أحمد شاكر (ت ١٣٧٧)، مسند أحمد ٣/٢١٠ • إسناده صحيح

[٣] [عن العباس بن عبدالمطلب]: شَهِدْتُ مع رَسولِ اللهِ ﷺ يَومَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أنَا وَأَبُو سُفْيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ رَسولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفارِقْهُ، وَرَسولُ اللهِ ﷺ على بَغْلَةٍ له بَيْضاءَ أَهْداها له فَرْوَةُ بنُ نُفاثَةَ الجُذاميُّ، فَلَمّا التَقى المُسْلِمُونَ والكُفّارُ وَلّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفّارِ، قالَ عَبّاسٌ: وَأَنا آخِذٌ بلِجامِ بَغْلَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّها إرادَةَ أَنْ لا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيانَ آخِذٌ برِكابِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أَيْ عَبّاسُ، نادِ أَصْحابَ السَّمُرَةِ، فَقالَ عَبّاسٌ: وَكانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بأَعْلى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحابُ السَّمُرَةِ؟ قالَ: فَواللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ على أَوْلادِها، فَقالوا: يا لَبَّيْكَ، يا لَبَّيْكَ، قالَ: فاقْتَتَلُوا والكُفّارَ، والدَّعْوَةُ في الأنْصارِ يقولونَ: يا مَعْشَرَ الأنْصارِ، يا مَعْشَرَ الأنْصارِ، قالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ على بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فَقالوا: يا بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، يا بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَهو على بَغْلَتِهِ كالْمُتَطاوِلِ عَلَيْها إلى قِتالِهِمْ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ هذا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ قالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسولُ اللهِ ﷺ حَصَياتٍ فَرَمى بهِنَّ وُجُوهَ الكُفّارِ، ثُمَّ قالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ قالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإذا القِتالُ على هَيْئَتِهِ فِيما أَرى، قالَ: فَواللَّهِ، ما هو إلّا أَنْ رَماهُمْ بحَصَياتِهِ فَما زِلْتُ أَرى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. وفي رواية: بهذا الإسْنادِ نَحْوَهُ. غَيْرَ أنَّهُ قالَ: فَرْوَةُ بنُ نُعامَةَ الجُذاميُّ، وَقالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَزادَ في الحَدِيثِ حتّى هَزَمَهُمُ اللَّهُ. قالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النبيِّ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ على بَغْلَتِهِ./ مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٧٧٥ • [صحيح] •

[٤] [عن معقل بن يسار]: الْعِبادَةُ في الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ./ مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٩٤٨ • [صحيح] •

- كان يقول للصحابة (إن من ورائكم أيام الصبر) ستأتي أوقات تحتاج إلى أن تصبر، أن تجاهد نفسك، (الصبر في هذه الأيام كقبض على الجمر)[٥] أنك تتألم، تخيل من يمسك جمرة هو يتألم ويشعر بحرارة. طبيعي أن من يمسك بجمرة أول رد فعل له أن يلقيها، لذلك في رواية في حديث ثانٍ من علامات التراجع والانتكاس النبي قال (كجمرٍ دحرجته على رجلك)[٦] أنك قررت أن ترمي الجمرة، لكن في هذه الرواية (كقبضٍ على الجمر، للعامل فيهن) أي في هذه الأيام انتبه (للعامل) ليس فقط للعابد، هذا يعبد ويعمل. لذلك نحن دائمًا نكرر كلمة "العامل لدين الله"، قال –صلى الله عليه وسلم– (للعامل فيهن) في هذه الأيام أيام الفتنة، أيام الصبر، أيام الابتلاءات، وكثير ممن ذكروا هذا الحديث كداود وابن ماجة وغيره كانوا يبوبونه تحت "أبواب الفتن"، بمعنى في زمان الفتنة وإعجاب كل ذي رأي برأيه والنّاس تنفض عن الدين (للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا) لماذا؟

لأن ثباته كأنه بثبات خمسين شخص، أجر خمسين رجلًا. فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال كلمة الصحابة تعجبوا منها (أجر خمسين رجلًا منكم)، بمعنى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول لهم سيأتي أناس بعد ذلك وليس الآن يحصل لهم فتن وانفضاض وإعجاب كل ذي رأي برأيه والنّاس لن تقبل الأمر بالمعروف والنهي عن منكر، والنّاس لن تقبل النصائح، الذي سيثبت في هذه الأوقات له أجر خمسين رجلًا منكم، فالصحابة سألوا النبي –صلى الله عليه وسلم– تقصد منهم (فقالوا منهم يا رسول الله ؟ قال :– لا ، بل منكم)[٧] أجر خمسين صحابيًا.

*أن تثبت في زمن الفتنة، أن تستمر في هذا الطريق رغم انفضاض النّاس، ثواب الهجرة، ثواب خمسين صحابيًا أن تثبت.

---

[٥] [عن عبدالله بن مسعود]: إنَّ مِنْ ورائِكُمْ أيامَ الصبرِ الصبرُ فيهِنَّ كَقَبْضٍ على الجمْرِ لِلْعامِلِ فِيها أَجْرُ خَمْسِينَ قالوا يا رسولَ اللهِ أجْرُ خمسينَ منهم أَوْ خمسينَ مِنّا قال خمسينَ مِنْكُمْ/ الهيثمي (ت ٨٠٧)، مجمع الزوائد ٢٨٥/٧ • رجاله رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان •

[٦] [عن حذيفة بن اليمان]: حَدَّثَنا رَسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أحَدَهُما وأنا أنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنا: أنَّ الأمانَةَ نَزَلَتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ وحَدَّثَنا عن رَفْعِها قالَ: يَنامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأمانَةُ مِن قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أثَرُها مِثْلَ أثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقى أثَرُها مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ على رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَراهُ مُنْتَبِرًا ولَيْسَ فيه شيءٌ، فيُصْبِحُ النّاسُ يَتَبايَعُونَ، فلا يَكادُ أحَدٌ يُؤَدِّي الأمانَةَ، فيُقالُ: إنَّ في بَنِي فُلانٍ رَجُلًا أمِينًا، ويُقالُ لِلرَّجُلِ: ما أعْقَلَهُ وما أظْرَفَهُ وما أجْلَدَهُ، وما في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمانٍ ولَقَدْ أتى عَلَيَّ زَمانٌ وما أُبالِي أيُّكُمْ بايَعْتُ، لَئِنْ كانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإسْلامُ، وإنْ كانَ نَصْرانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ ساعِيهِ، فأمّا اليَومَ: فَما كُنْتُ أُبايِعُ إلّا فُلانًا وفُلانًا./ البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤٩٧ • [صحيح] •

[٧] ثم تخريجه رقم (٥).

- النبي –صلى الله عليه وسلم– قال عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه يبعث أمة وحده، لماذا؟ لأنه ثبت في وقت لم يكن معه أحد.
- قال عن ورقة بن نوفل فيما يُروي عنه في حديث صححه بعض أهل العلم أو حسنه أو فيه ضعف ولو فيه ضعف ضعفه يسير قال أنه (رآه له جنة أو جنتين)[٨] ثوابه كان مضاعفًا لماذا؟ ثوابه كان مضاعفًا لأنه آمن في وقت لم يكن يؤمن فيه أحد، بل كان يتمنى نصرة النبي في وقت الاستضعاف، قال "يا ليتني أكون فيها جذعًا" أي قويًا، ورقة بن نوفل يقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– "يا ليتني أكون شابًا حين يخرجك قومك"، ورقة بن نوفل اختار أشد أوقات استضعاف الدين وهو وقت إخراج النبي –صلى الله عليه وسلم–، هذه أشد أوقات مرت على الدين.

لذلك عندما ذكر الله –سبحانه وتعالى– أنه قادرٌ على أن ينصر هذا الدين في وقت استضعافه، اختار هذه اللحظة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[التوبة ٤٠] إذًا عندما أراد ربنا أن يبين وهو قادر –سبحانه وتعالى– أن ينصر هذا الدين في وقت الاستضعاف، اختار لحظة إخراج المشركين للنبي –صلى الله عليه وسلم–، كذلك اختار هذه اللحظة ورقة وقال "ليتني أكون فيها جذعًا" أي شابًا قويًا "حين يخرجك قومك" أغلبنا يتمنى لحظة التمكين حتى ينصر دين ربنا ونهرب جميعًا ونفر من لحظات الاستضعاف.

لذلك حتى عندما تقرأ أسبوعيًا يستحب لك أن تقرأ سورة الكهف، تقرأ الكهف قمة الاستضعاف طائفة من الشباب المستضعفين هؤلاء الذين تركوا وفروا بدينهم وانطلقوا إلى الكهف، أو صاحب الجنتين مع المؤمن وهو يدعوه وهو أيضًا مستضعف، وتأتي وتقرأ قصة ذو القرنين تجد تمكينًا أغلبنا يحب قصة ذو القرنين لماذا؟ لأنها وقت التمكين والانتقال بين المشرق والمغرب. السورة لم تسم ذو القرنين بل سميت بوقت الاستضعاف، الذي يثبت هنا هو الذي يُمكن، قال الإمام الشافعي "**لا يُمكن المرأ حتى يبتلى**". فأغلبنا دائمًا يريد أن يصل للنهاية، لا يريد أن يبذل الصعوبات في أول الطريق.

إذًا ثواب أن تتذكر، ثواب الثبات في أوقات الفتنة، مهم جدًا، أن تتذكر ثبات زيد بن عمرو بن نفيل، ثبات ورقة بن نوفل، وهذا كان مشهدًا عجيبًا جدًا فمثلًا يقول أحدهم كيف أثبت وأنا ليس لدي

[٨] [عن عائشة أم المؤمنين:] لا تَسُبُّوا وَرَقةَ فإني رأيتُ له جنَّةً أو جنَّتَينِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٤٠٥ • صحيح على شرط الشيخين •

صحبة -سنذكر أيضًا أسباب الثبات- لكن يمكن أن تكون كل الأسباب التي سنقولها غير موجودة، إذًا كيف تثبت؟

- تخيل مثلًا مشهد صلح الحديبية والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقف مع الصحابة، وكانوا يريدون أن يذهبوا لأداء العمرة، وصدوا ومنعوا عن البيت، وهذا أصلًا في حد ذاته مشهد مؤلم، وبعدها وهم يكتبون الصلح وسهيل وقريش قالوا لا نحن لا نستسلم فجأة، ماذا سيقول علينا العرب؟ أنكم أتيتم لأداء العمرة فجأة هكذا! لا بل ترجعون وتأتون لأداء العمرة من العام القادم.

فقالوا إذًا نقوم بعمل صلح، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقف مع سهيل بن عمرو، سهيل بن عمرو اشترط أن أي شخص سيأتي من المشركين ويذهب مسلمًا للنبي -صلى الله عليه وسلم- من الرجال النبي سيردّه، وكان الشرط عامًا في البداية، ثم بعد ذلك نزلت الآية في استثناء النساء، أن أي أحد سيأتي من المشركين يؤمن ويذهب للنبي -صلى الله عليه وسلم- النبي سيرده، ومن سيأتي من المؤمنين ثم يشرك قريش لا تردّه. فوافق النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن من سيأتي منهم مؤمنًا سيرجعه؛ سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا، أمّا المؤمن الذي سيرتد فالله يغنينا عنه.

وكانوا يتفقون على تلك النقطة ولم ينتهوا فأتاهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وسهيل بن عمرو هو الذي يكتب الصلح مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، فجاء يرصف في قيوده -أبوه سهيل بن عمرو كان قد قيّده- مقيدًا بجزءٍ منها وألقى نفسه وسط المسلمين يستنجد بهم أن ينقذوه؛ فهاج المسلمون وماجوا كي لا يتركوه، فقال سهيل بن عمرو: "لن أترك لك هذا" فهذا أول شخص يطبّق عليه الشرط، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- أنّهم لم يتمّوا الشرط بعد، فقال سهيل: لا، لا بد أن يرجع، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: أجزه لي، فقال سهيل: أبدًا، هذا أول من سنطبّق عليه الشرط وإلا لن يكون هناك صلح، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لجندل: (ارجع، إن الله جاعلٌ لك فرجًا ومخرجًا)[٩].

[٩] [عن أنس بن مالك]: أنَّ قُرَيْشًا صالَحُوا النبيَّ ﷺ فيهم سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، فَقالَ النبيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: اكْتُبْ، بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قالَ سُهَيْلٌ: أمّا باسْمِ اللهِ، فَما نَدْرِي ما بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنِ اكْتُبْ ما نَعْرِفُ باسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقالَ: اكْتُبْ مِن مُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ، قالوا: لو عَلِمْنا أنَّكَ رَسولُ اللهِ لاتَّبَعْناكَ، وَلَكِنِ اكْتُبِ اسْمَكَ واسْمَ أَبِيكَ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: اكْتُبْ مِن مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ، فاشْتَرَطُوا على النبيِّ ﷺ أنْ مَن جاءَ مِنكُم لَمْ نَرُدَّهُ علَيْكُم، وَمَن جاءَكُمْ مِنّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنا، فَقالوا: يا رَسولَ اللهِ، أنَكْتُبُ هذا؟ قالَ: نَعَمْ، إنَّه مَن ذَهَبَ مِنّا إلَيهِم فأبْعَدَهُ اللَّهُ، وَمَن جاءَنا منهمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ له فَرَجًا وَمَخْرَجًا.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٧٨٤ • [صحيح] •

تخيل لو أنّك مكان أبا جندل! هل ستتركونني؟! أبعد أن أتيت لكم ستتركونني؟ أنا المخطئ أنني أتيت لكم، كم شخص كان سيتصرف مثل هذا التصرف؟ أنا الملوم أصلاً، لقد تركت أبي وتركت المشركين وأتيت لكم في قيودي وأنتم تريدونني أن أرجع؟

أحيانًا تحدث ظروف واضطرارات وأقدار وابتلاءات؛ لينظر كيف ستفعل. لماذا أنت منشغل بردود أفعال من حولك؟ أحيانًا تمر ظروف فمثلًا أخطأ شيخ أنه عبس في وجهك، وهذا الشيخ أعرض عنك وهذا الأخ عاملك بطريقة خاطئة، لقد أخطأوا، ولكن ماذا عنك أنت؟ لقد علمت أنهم قد أخطأوا وأنت ماذا ستفعل؟ هل سترجع؟

فأبو جندل موقفه صعب جدًا، قال لهم هل سترجعونني؟ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: (إن الله جاعلٌ لك فرجًا ومخرجًا)، فعند رجوع أبو جندل سيدنا عمر كان واقفًا لا يصدق، كيف سيرجع؟ وسيدنا عمر كان يحب إخوانه من الصحابة وكان عنده الشهامة، كيف سنتركه يرجع؟ فذهب ليسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- ألسنا على الحق؟ ويذهب ليسأل أبا بكرٍ ألسنا على الحق؟ وأبو بكرٍ يقول له: "أيها الرجل الزم غرزه، إنه رسول الله وليس يعصيه"، ولكن سيدنا عمر لا يستطيع السكوت، فذهب بجوار أبا جندل وأمسك سيفه وحرّكه وقال له: اصبر يا أبا جندل، إنما دم أحدهم كدم كلب، وظل يحرك السيف، يريد أن يقول له خذ مني السيف واضرب رأس أباك وينتهي الأمر وينتهي الصلح، فقال "ولكن الرجل ضن بأبيه"، والحمد لله أن أبا جندل لم يفعل ذلك، والتزم بأمر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وبالفعل جعل الله له فرجًا ومخرجًا؛ لأنه صبر احتسابًا لوجه الله -سبحانه وتعالى- ولم ينشغل بلماذا أرجعتموني بعد أن أتيت لكم وغير ذلك.

لو ظللنا نذكر كمية الأحداث التي مرت سواء على الأنبياء أو الصحابة أو التابعين أو غيرهم وكانوا بمفردهم، ويوجد درس وحتى لا أطيل عليكم يمكنكم الرجوع له، وتحدثت فيه بالتفاصيل عن الثبات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لو كنت بمفردك، الثبات في الدعوة ولو كنت بمفردك، والثبات في الجهاد حتى ولو كنت بمفردك والثبات في الإيمان حتى ولو كنت بمفردك، الدرس اسمه [حتى لو لوحدك]. دعك من فكرة أنك لا تجد أحدًا معك فبالتالي سأبعد، الدرس بعنوان -وأرجو أن ترجعوا له- [حتى ولو لوحدك]، حتى نتجاوز تلك النقطة وننتقل إلى بقية النقاط.

((فإذًا ثوابك أثناء انفضاض الناس مختلف تمامًا))

- وأصرح آية توضح الأمر ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[الحديد ١٠] الذين بذلوا أوقات الاستضعاف وأوقات الفتن وأوقات الابتلاءات وأوقات انفضاض الناس ثوابهم أعلى بكثير، نعم الكل إن شاء الله له ثواب ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، لكن لن يستويا، لن يستويا أبدًا.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾، قبل الهجرة أو قبل فتح مكة على خلاف من أهل العلم، أو الفتح المقصود في صلح الحديبية أيًا كان، في فترات الفتح والتمكين من يبذل فيها ثوابه عظيم جدًا، فأحيانًا تحدث أوقات مثل التي نحن فيها، هذه الأوقات فرصة أن ترتقي في الجنان، فرصة للصعود إلى أعلى درجات الفردوس الأعلى، ليست فرصة للهروب، ليست فرصة للانفضاض، ليست فرصة لترك الثغور، ليست فرصة لتقول ولمَ أتحمل هذا الضيق والتعب، لمَ لا أعيش مثل باقي الناس وأفكر مثلهم ويصبح الدين مكون بسيط ضمن مكونات حياتي وكفى! ماذا تريدون مني؟ ألست أصلي وأعتمر -إن كان لدي مال-؟ أليس هذا هو المطلوب؟ فأصبح هذا هو الدين عنده.

قلت لكم في هذا الدرس والذي قبله أنه خاطب الكادر العامل، أنه يرجع ليقول لك أنا أريد أن أكون شخصًا عاديًا، وكنت تحدثت أنه لو تلك طاقته وتلك إمكانياته وكان يحمل نفسه ما لا يطيق، فإذًا لا توجد مشكلة، لكن هناك فرق بين الارتداد في المفاهيم وخور العزيمة والوهن الذي يذوب في القلوب، وأن يعترف بذلك وبين أن تلك هي إمكانياته.

هذه كانت النقطة الأولى وهي مسألة **من أهم عوامل الثبات أن تتذكر ثواب الثابتين في زمن الفتنة**، ثوابهم عظيم، ثواب القابضين على الجمر؛ كن منهم، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن تكون منهم، اطلب من الله أن يثبتك، ثوابهم عظيم، تذكر الثابتين، اقرأ في سيرهم، دعك من المعاصرين؛ الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ربنا يثبتنا جميعًا يا رب. ذكرنا المرة السابقة أن تكثر من دعاء (اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اجنبني وبني أن نعبد الأصنام) ، تكثر من الدعاء، أنت لا تثبت بقوتك، بل بالافتقار إليه -سبحانه وتعالى-.

– النقطة الثانية بعدما ذكرنا أمثلة للناس الثابتين وتذكر ثوابهم، أحيانًا من أسباب الثبات.. قلنا المرة السابقة أسباب الحور بعد الكور، واليوم أسباب الثبات، الدرس السابق لو عكست أسبابه تحصل على أسباب الثبات، ودرس اليوم لو عكست أسبابه تحصل على أسباب الانتكاس.

من أسباب الثبات: **عدم الالتفات للقضايا والخلافات والجدليات والاشكاليات**، أحيانًا الإنسان يدخل نفسه في مشاكل هو لا يقدر عليها، مثلما تحدثنا المرة السابقة عن مسألة (لا ينبغي لأحدكم)، وحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– (أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال يتحمل من البلاء ما لا يطيق)[١٠]، وأشرنا لنقطة من يرمي بنفسه ويدخل نفسه في أشياء في الدين هو لا يقدر عليها.

أحيانًا هذا يحدث، أن الإنسان يدخل نفسه ويشغل باله بقضايا هو لا يقدر عليها؛ فبالتالي يظل يتحمل إشكاليات لا يتحملها، لماذا؟! أنت انشغل بما تقدر عليه! تلك النقطة مع النقطة رقم ثلاثة – سأقول النقطة رقم ثلاثة وأفصل في تلك النقطتين لكي نفهم ما أقصد–.

النقطة رقم ثلاثة: **إذا لم تستطع فِكْر التغيير عليك بفكر النجاة.**

إذًا **رقم واحد**: تذكر ثواب الثابتين في الفتنة.

رقم اثنين: عدم الالتفات للقضايا التي تؤدي للوقوع في الخلافات والإشكاليات والابتلاءات التي لا تقدر عليها، لا تقحم نفسك بها طالما لا تملك الزاد الخاص بها.

رقم ثلاثة: إذا لم تستطع فكر التغيير عليك بفكر النجاة.

*ما الذي أعنيه من رقم اثنين وثلاثة؟

[١٠] [عن حذيفة بن اليمان]: لا يَنبغي للمُؤمنِ أن يُذلَّ نفسَه قالوا: وكيف يُذلُّ نفسَه؟ قال: يتعرَّضُ مِن البلاءِ لما لا يُطيقُ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٢٥٤ • صحيح

أحيانًا أن تفكر في قضايا أممية كبيرة وتقرأ –مثلما تكلمنا في مسألة الدين الثوري في المرة السابقة– قضايا سياسية ضخمة جدًا، وتظل تقرأ في الصراع العالمي بين الدول وتقرأ في الأزمات الاقتصادية الكبيرة وأنت في النهاية فرد، والجماعات تنهار وأنت فرد لا تعرف ماذا تفعل.

فتبدأ تصل من كثرة التفكير المفصل في هذه القضايا والاهتمام بكل هذه المجريات من حولك وكل ما يجري من حولك من أحداث، الاهتمام التفصيلي بها وأنت لا تملك زادًا لها، وليست لديك القدرة على التغيير فيها وتصمم أن تحدث تغييرًا!

فتأتي لتتحرك فتفاجأ أن كل عملك في الدين لا يحدث أي تغيير في تلك المنظومة العالمية ولا يغير في الأزمة الاقتصادية ولا يغير في الأزمات السياسية أي شيء، والناس كما هم في ابتلاءاتها، والمسلمون ما زالوا مستضعفين؛ فتبدأ تحبط، ما هو الحل لذلك كي أثبت؟

يسألني شخص هل تقصد ألا أهتم بأمر المسلمين وأنكب على نفسي وأكون منعزلًا ولا علاقة لي بأي شيء؟ لا، لكنني أقصد أن تتوازن بين شيء اسمه التفكير الفردي والتفكير الأممي، ماذا يعني ذلك؟

–التفكير الفردي أنك أنت كفرد تحتاج لأشياء، تحتاج أن تصلي، تحتاج أن تذكر الله، تحتاج إلى عوامل ثبات كفرد، أنت كفرد تحتاج أن تطلب العلم، تحتاج أن تقرأ القرآن، كثير من الناس الذين يقرؤون كتبًا سياسية ضخمة وغيرها وكتاب في الأزمات الاقتصادية السياسية العالمية، لا يستطيع أن يقرأ القرآن! لو قيل له صفحة قرآن، لا يستطيع أن يقرأها أصلًا. هو في الدين في قمة الضعف. فكيف سيثبت؟!

يا جماعة هل نريد أن ننصر الدين أم نريد أن نحقق إنجازًا! الآن أنا أريد أن أحدث تغييرًا عالميًا في الواقع أم أنني أريد أن أصل إلى الفردوس الأعلى؟ لأنه **من يريد أن يرضي الله يسير على طريقه**، نحن عندنا الوسائل لها أحكام الغايات، فكيف ستغير بدون زاد؟!

النبي –صلى الله عليه وسلم– لما طلب الله –سبحانه وتعالى– منه أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور بدأ معه بالزاد، بقيام الليل، بقراءة القرآن ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[المزمل ٢]، وكذلك الصحابة فرض عليهم القيام، عام كامل يصلون قيام ليل فرض عليهم، هذا من الزاد، لن تستطيع أن تغير بدون زاد، وتلك نقطة رقم أربعة التي سنتكلم فيها، مسألة ضعف الزاد –أو لو أننا نتكلم في أسباب الثبات– أهمية وجود هذا الزاد في حياتك.

نحن نحتاج إلى أن نوازن بين التفكير الفردي والتفكير الأممي، التفكير الفردي: علمك، عبادتك، تحصيل العلم، أحيانًا يمكن لشخص أن يقول: ولم أدرس النحو؟ وكيف سيغير ذلك في مشاكل الأمة؟ ولم أدرس مصطلح حديث؟ وكيف سيغير ذلك في مشاكل الأمة؟ لم أهتم بصلاة الضحى؟ لم أحفظ القرآن والقرآن مكتوب؟

هذا يحدث عندما يطغى التفكير الأممي على التفكير الفردي، وأحيانًا يطغى التفكير الفردي على التفكير الأممي، يقول لك ما علاقتي بما يحدث في فلسطين وبورما..إلخ؟ لا هذا خطأ، أنت بحاجة إلى أن توازن بين التفكير الفردي والتفكير الأممي، التفكير الأممي دائمًا اجعله على حسب طاقتك وامكانياتك، أنت فرد عادي لا تنتمي لمجموعة كبيرة وليس لك قرارًا مؤثرًا ولا أفكارك ستؤدي لنوع من التغيير في قرارات العالم الإسلامي، فأنت بالتالي حاول ألا يصبح التفكير الأممي طاغيًا، اجعله مجملًا ليس مفصلًا.

اجعل التفكير الأممي مجملًا، لا تتابع تفاصيل التفاصيل، تابع المجمل، مع أن أحيانًا بعض التفاصيل في القضايا والتفكير الفردي يجب أن يحدث بينه توازن.

*إذًا ماذا سيحدث إذا طغى أحدهما على الآخر؟

– ماذا يعني إذا طغى أحيانًا التفكير الفردي على التفكير الأممي؟ مثلًا شخص غير مشغول بقضايا أمته ولا يشغل باله بما يحدث في الواقع، ولا الأزمات الموجودة، ولا ماذا يحدث من انتشار الشبهات والشهوات، وما الذي يوجد في الواقع؟ وإلى أين وقف الناس في الدين؟ وماذا يحتاجون قبل ماذا؟ فهو لا يشغل باله، سيقول أنا جالس مع نفسي في مكتبتي أقفل علي، أو في صومعتي أو... أو، هذا عندما يطغى عند هذا الشخص يمكن أن يدخل المسلمين في صراع قضايا هم لا يحتاجونها، يمكن أن يعيش في قضايا وهمية مثلما نرى الآن أحيانًا على الفيسبوك صراع بعض الناس، فقد أدخلوهم في صراع في قضايا كلامية جدلية محلها الكتب والأبحاث والقضايا ليس محلها عموم المسلمين أبدًا، بل بالعكس المفروض ينهى عن نشر هذه القضايا أمام عموم المسلمين.

يمكن لطغيان التفكير الفردي على التفكير الأممي وعدم الاهتمام بقضايا الواقع وفهم الواقع السياسي والاقتصادي أحيانًا يؤدي أن هذا الشخص يُلعب به أو يكون أداة من أدوات الظلم، والتفكير السياسي العالمي يلعب به، ويكون أداة لضرب إخوانه، هو لا يعرف ذلك، هو ليس مطلعًا على ما يحدث.

فمهم جدًا أن يكون عنده نوع من الاطلاع أو لا ينبغي أن يكون هو مطلعًا، فيرجع إلى غيره ويحدث نوع من التعاون، أنا متميز في باب الحديث وأنت متميز في باب السياسة، وهذا متميز في باب الاقتصاد، وهذا متميز في باب التفسير، فهذا يحدث نوعًا من التعاون والتكامل ونرجع لبعضنا ونستفيد من بعضنا. فالشخصية الحركية تستفيد من الشخصية العلمية، والشخصية العلمية تستفيد من الشخصية التي عندها نوع من الاهتمام المعرفي والثقافي، لأن طغيان التفكير هذا وانعزاله وعدم استفادته من إخوانه قد يؤدي إلى أن يُستغل.

– والعكس في طغيان التفكير الأممي على التفكير الفردي، شاب لم يتلقى أي تعليم شرعي، ولم يحصل أي تدرج في البناء العلمي، اهتمامه التعبدي صفر، أي نادرًا ما يقوم الليل ويطيل قيام الليل والدعاء والتضرع، وتجده مهتمًا جدًا بالقضايا العالمية والتغيير والثورات.. إلخ، طبعًا هو في النهاية ماذا يحدث له؟ يفشل.

وهذا وارد مثلما ذكرنا المرة السابقة؛ فيحبط ويأس ويكثر من الصياح والولولة بدون عمل، أمامه أعمال ينجزها ولا يفعل ذلك، هو الآن هذا الشخص الذي يطغى عليه التفكير الأممي على التفكير الفردي، بإمكانه أن يدعو من أمامه، بإمكانه أن يحفظ أو يُحَفِّظ، بإمكانه أن يرد على شبهة الملحد هذا، أن يتعلم ويعلم الناس كيف تصلي، أن يكلم الناس الجالسة على القهوة ويخبرهم أن يقومون للصلاة، بإمكانه أن ينصح، لكنه يرفض ويقول لك أنا أريد إحداث تغييرًا عالميًا!

نعم يا أخي لكن التغيير العالمي يأتي بالتدريج! أنت لن تحدث تغييرًا عالميًا بعصا سحرية!

لكنه يعترض وأن كل الذي تفعلونه هذا يضيع الدين، واهتمامكم بتلك الجزئيات يؤدي إلى عدم الاهتمام باسترجاع المسجد الأقصى وبهدم الهيمنة الأمريكية!

يا أخي وهذا كيف سنفعله؟ لو كنا نقدر أن نهدم الهيمنة الأمريكية على رأسهم سنفعل! لكن كيف سنفعل ذلك؟ لا تضخم قضايا لا نملك أدواتها وتعيش بداخلها وتعش في بوتقة وترفض أي جزئيات للطاعات!

إذًا ألا أهتم بذلك؟!

لم يقل لك أحد ألا تهتم، لكن يكون هناك توازن، التوازن إما يكون على مستوى الشخص في نفسه فيحدث توازنًا، أو بينه وبين إخوانه، شخص يغطي تلك النقطة، وآخر يغطي تلك النقطة، شخص يقرأ تقاريرًا، مثلًا مؤسسة راند ويعلم ما يحدث والتخطيط وكيف يصنفون الدعاة وكيف يتم استغلالهم و...و...و..، وشخص يكون مهتمًا بالعلم الشرعي والقضايا وكيف نستفيد من بعضنا في تلك القضايا.

إذًا تلك نقطة رقم ٢ ونقطة رقم ٣.

❖فكر النجاة:

النقطة رقم ، ٣ كنت أقول نقطة عند العجز عن فكر التغيير، إذًا فلنفترض أنه قد حدث انهيارًا في المجموعات الكبيرة وقيادات العالم الإسلامي و...و...و..، وبدأت أشعر بحالة من الاحباط، ماذا أفعل؟

- انتقل لفكر النجاة، هذا ليس خطئًا.

- النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول والحديث في صحيح مسلم (من خير معاش الناس لهم)، أفضل ناس من هم؟ ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- نوعين (من خير معاش الناس لهم)، الأول -وهذا الأفضل- (رجل ممسك بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت في مظانه)، هذا الأول، هذا أحسن شخص، هل يجب أن نفعل كلنا ذلك؟ لا.

الثاني (أو رجل في غُنَيمة)، أحضر رأس ماله الصغير، أيامها كان بعض هذا الغنم فأخذهم (في رأس شعفة من هذه الشعف أو في بطن واد من هذه الأودية) ماذا يفعل؟ انعزل بجانب جبل وجلس بجوار السهل وبجواره الماء والبئر على قدر زاده أو أي شيء يشبهها في وقتنا المعاصر، ماذا يفعل؟ (يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير)[١١] لا يؤذي الناس، ما هذا؟ ألم ينعزل عن الصراع؟

[١١] [عن أبي هريرة]: مِنْ خَيْرِ مَعاشِ النّاسِ لهمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللهِ، يَطِيرُ على مَتْنِهِ، كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً، أوْ فَزْعَةً طارَ عليه، يَبْتَغِي القَتْلَ والْمَوْتَ مَظانَّهُ، أوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِن هذِه الشَّعَفِ، أوْ بَطْنِ وادٍ مِن هذِه الأوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاةَ، ويُؤْتِي الزَّكاةَ، ويَعْبُدُ رَبَّهُ حتّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، ليسَ مِنَ النّاسِ إلّا في خَيْرٍ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٨٨٩ • [صحيح] •

نعم لكنه لم يكن عنده القدرة على المواجهة، هذا في زمن الفتنة، لم يكن عنده القدرة، كما ذكرنا المرة السابقة، لا تحمل كل الدعاة أن يقوموا ويعملوا نفس الفعل، لا يجب ذلك.

- النبي -صلى الله عليه وسلم- أيضًا في صحيح مسلم في الحديث الذي يسبق ذلك مباشرة، سُئل النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أي الناس أفضل؟ فقالَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله)، هذا أفضل شخص، (قال ثم من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره)[١٢].

دعونا نتكلم بصراحة..

أنا فقدت الأمل من أن الإسلاميين يقومون بنوعٍ من الإصلاح العالمي والتغيير العالمي، هل أكفر بالقضية وأنطلق في الشهوات والشبهات؟

لا، بل عليك أن تنجو وتصل للفردوس الأعلى على قدر طاقتك، عليك أن تصل ولو لوحدك ستقول: لا أعرف كيف أصنع التغيير، اصنع تغييرًا على مستوى نفسك على مستوى أسرتك على مستوى منطقتك على مستوى مسجدك الصغير، الزاوية التي تصلي فيها. أي أن الحل ليس "all or none"، أي إما أن أكون مجاهداً في سبيل الله أو منتكسًا في سبيل الشيطان، ألا يوجد خيار في المنتصف؟ فإذا لم تستطع فكر التغيير انتقل إلى فكر النجاة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-.

من غير المهم أن تناقشني في المصطلحات فلو كنت معترضًا على كلمة فكر التغيير فهذا ليس مهمًا، لنبقى في الحديث أي في الذي ليس فيه نقاش، لنبقى في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنت لا تستطيع أن تكون الصنف الأول انتقل الى الصنف الثاني، إن لم تستطع وقلنا الأفضل الأول. وهذه بالضبط النقطة الرابعة.

قلنا أن:

* رقم١: تذكر الثواب.

[١٢] [عن أبي سعيد الخدري]: قِيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: مُؤْمِنٌ يُجاهِدُ في سَبيلِ اللَّهِ بنَفْسِهِ ومالِهِ، قالوا: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعابِ يَتَّقِي اللَّهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِن شَرِّهِ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٢٧٨٦ • [صحيح] •

* رقم ٢: عدم الالتفات إلى المشاكل والقضايا التي تدخلك في قضايا لست بحجمها.

* رقم ٣: فكر النجاة وفكر التغيير.

* رقم ٤: يقول أحدهم: أنا أحيانًا أتحرك لوحدي أو في مجموعات بنوع من العشوائية، أريد منهجية أو خطة تنقلني من اللحظة الراهنة إلى وضع التمكين، حتى أتحرك ولا أضيّع الوقت ونصل للتمكين في أسرع وقت ممكن.

ما تطلبه بصراحة ليس موجودًا، فيما أعلم، أي أن يأتي أحد ويقول لك: أنا سأرسم لك خطة من هذه اللحظة لنقطة التمكين المرجوة التي يمكن أن تكون متوهمة أي ليست موجودة أصلًا، وهي أننا من الممكن أن نصل لمرحلة أننا قتلنا الوحش وجلسنا نسمع القرآن ولا وجود للمشركين في الدنيا ولا لأي صراع نفسي ولا صراع مع الباطل وانتهينا، هذا ليس موجودًا. إلى أن تقوم الساعة يوجد صراع وحروب بين المسلمين وبين اليهود ثم المسيح الدجال، أي أن فكرة الوصول لمرحلة الاسترخاء التام في الدين وأنه لم يعد هناك أي نوع من أنواع المجاهدة غير موجود.

فعندما كان الناس يعذبون في مكة كانوا يتوقون لمرحلة التمكين فذهبوا للمدينة وانتقلوا لأحكام أخرى فبدلًا من أن يكون الحكم الصبر على الضرب، سيكون الحكم هنا أنت اذهب اضرب وجاهد، فالحكم هنا أن نقيم الصلاة ونعمل بأعمال البر لأنه لا يوجد تطبيق لبقية الشريعة، عندما ذهبنا إلى في المدينة نزلت أحكام كثيرة جدًا لنطبقها، فهنا كنا منشغلين بعبادات وهنا منشغلين بعبادات.

ففي الاستضعاف أنت منشغل بعبادات وفي التمكين منشغل بعبادات، طالما أنت حيّ أنت مطالب بأن تجاهد وتعبد الله حتى يأتيك اليقين الذي هو الموت، أي لا يوجد حالة نصل لها ونكون جالسين مسترخين استرخاء تامًا، ونقول وهل تتذكر أيام المجاهدة؟

كلا هذا لن يحصل –في الدنيا– هذا في الجنة إن شاء الله على سرر متكئين أو على الأرائك ينظرون، أنت جالس في الجنة مع الصحبة الصالحة إن شاء الله، نسأل الله أن يرزقنا ذلك مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، تتذكر جهادك وبرك لكن هذا في الدنيا غير موجود ،تمر أوقات كهذه أحيانًا، لحظات أجل، لكن لن تكون هي اللحظات الدائمة.

*أي لا وجود لراحة في الدنيا؟

– هنا راحة الصدر﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[محمد ٢]، ومن يريد تفسير هذه الآية يجدها في تفسير سورة محمد شرحتها بالتفصيل، أنه حتى الذين في وسط الأزمات كالمجاهدين الله سيصلح لهم بالهم

وهنا النقطة رقم ٤ للذي يسأل ويريد منهجية، هل أتحرك بعشوائية؟ نعم، تحرك بعشوائية.

القاعدة التي أريد أن أقولها والتي من الممكن أن تعترض عليها وأنا يهمني تطبيقها:

((المنهجية أفضل من العشوائية، ولكن العشوائية أفضل من التوقف))

المنهجية أفضل من العشوائية، لديك منهجية معينة في أي شيء، دعوة،علم، أي تغيير أو إصلاح مجتمعي أيّاً كان، منهجية معينة وبصورة معينة تحرك بها، إذًا هل أتحرك بعشوائية؟ نعم، تحرك بعشوائية؛ فالعشوائية أفضل من التوقف. فالتوقف شيء مقيت، التوقف شيء مؤلم، التوقف شيء محبط، النفس البشرية بصراحة تحب أن يبقى عندها نوع من الإنجاز تمسكه في يدها، حتى عندما تكون محبطًا، بعض أطباء علم النفس يقولون: ضع لنفسك "minor task" أي ضع لنفسك أهدافًا صغيرة لتحققها حتى تنجح، لكن إن وضعت لنفسك قضايا كبيرة فستفشل وتحس أن جبلاً تهدم على رأسك وتفقد الأمل، كلا، فلو أنك تتحرك بصورة حتى لو كانت غير منظمة أفضل من التوقف، التوقف هذا هو حالة من الإحباط واليأس.

فلو كان أحدهم يخطب لصلاة الجمعة كلّ جمعة وتوقف لثلاثة أسابيع ثمّ عاد لخطبة الجمعة سيحس بأنها ثقيلة جدًا على صدره ،كيف هذا وقد كنت أخطب لسنتين كاملتين؟، الذي يحفظ القرآن وبفضل الله مدارك الحفظ عنده واسعة جدًا وتجده يحفظ الآية بسرعة ثمّ يتوقف لشهرٍ أو شهرين عندما يعود للحفظ سيشعر بصعوبة، وربما يتوقف عن حفظ القرآن، لأن التوقف يصنع نوعًا من التيبس فحتى تعود مرة أخرى ستحتاج أن تلين ثانيةً، وهذا في كل شيء، في قيام الليل، في الصلاة، في المسجد في الصيام، فانظر للذي صام رمضان كان لا يشعر بأية مشاكل، ولكن عندما توقف قليلاً ثمّ عاد للصيام سيقول: أن النهار طويل جدًا، وأنت كنت تصوم والنهار طويلٌ في رمضان، فالتوقف أمر سيء. **فإياك أن تتوقف**.

سريعًا، هذه كانت النقطة رقم ٤.

* النقطة رقم ٥: **من أسباب الثبات: الربانية، ساعة العبادة، زاد الطريق.**

الله –سبحانه وتعالى– في أول سورة ص عندما ذكر جهد المشركين وهم يوصون بعضهم ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ﴾[ص ٦]الصفحة الأولى في سورة ص مليئة بحركة المشركين محاولةً منهم لهدم الدين ونشر الشبهات والاستهزاء ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾[ص ١٦] هذا الجو الحركي لرصد حركة المشركين، هل أنت تتوقع أن الله سيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– في آخر الآيات ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[ص ١٧]؟ يا رب أنا أحتاج لزاد حتى أصبر، أصبر على ما تقوله أمريكا وروسيا والملحدين والشبهات ؟ فكيف أصبر يا رب؟! فهذا أمر ثقيل على قلب المؤمن الذي يحمل همّ هذا الدين، هو يتقطع عندما يرى هذا ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فكيف أصبر إذًا؟

– ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا﴾ أنا كنت أتوقع مثلًا اذكر عبدنا إبراهيم إذ حطم الأصنام أو موسى إذ وقف أمام فرعون.﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ ثم لحظات العبادة والتسبيح وتجاوب الكون مع تسبيح داود وتسخير الجبال والطير يسبحن معه بالعشي والإشراق، لحظات الخلوة والعبادة هي الزاد للصبر هي زاد المؤمن، هذه اللحظات التي تنقلك إلى عالم الغيب هذه اللحظات التي تستشعر فيها أنك جزء من هذا الكون العظيم الذي يسبح بحمد الله، وتجاوب الطير والجبال مع تسبيح داود واستحضار أن الكون كله من جنود الله ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[١٣].

أن تعايش عالم الشهادة فقط –ركز معي في هذه الجملة – **أن تعايش عالم الشهادة فقط أثناء الصراع بين الحق والباطل أمر مدمر نفسيًا! لابد أن تستعين بعالم الغيب**، لابد في كل فترة من الفترات أن تنتقل وتشاهد عالم الغيب ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ﴾[الزمر ٧٥]، (ما من موضع أربعة أصابع في السماء إلا وفيها ملك ساجد وقائم)[١٤]، أن تستشعر (البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك)[١٥].

أن تستشعر جنود الله –سبحانه وتعالى– من الرعد والبرق والزلازل والبراكين، أن كل الكفار يهلكهم الله بصيحة واحدة! أن هذه الأرض أصلًا هي ذرة في فلاة في هذا الكون ،من هم هؤلاء المشركون الذين

[١٣] ذكرت هذه الآية في [الفتح ٤] و [الفتح ٧].

[١٤] قد أطَّت بهم السماءُ، وحقَّ لها أن تئطَ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعٍ إلا وملك قائمٌ، أو راكعٌ، أو ساجدٌ
الألباني (ت ١٤٢٠)، النصيحة ٢٤٣ • صحيح بشواهده •

[١٥] [عن أنس بن مالك]: البيتُ المعمُورُ في السماءِ السابعةِ، يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعونَ ألْفَ ملَكٍ، ثمَّ لا يَعودُونَ إليه حتى تقومَ الساعةُ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٢٨٩١ • صحيح • أخرجه مسلم (١٦٢) مطولا

يعارضون الله ؟! إنهم علق ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[العلق ١٩] جاءت مع سورة العلق أن أبا جهل هذا الذي يأمرك أن تدع الصلاة هو مجرد علق!

أن تستحضر هذه المعاني، لن تستحضرها إلا بالسفر إلى عالم الغيب، والسفر إلى عالم الغيب –كما ذكرت في درس "موسم العشر والذكر حكم وأسرار السفر إلى عالم الغيب"– يكون بالأذكار والقرآن والعبادة والخلوة الطويلة مع الله –سبحانه وتعالى– بعيدًا عن الناس.

كما كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هذه خلوتي، يقول عن الخلوة هذه غدوتي، أنها زادك إن لم تتغذى، تسقط إن لم تحصل على طعامك تسقط، كيف تريد أن تدافع الهيمنة الأمريكية وأن تنصر الحق وأن تدافع الباطل وأن تدفع الظالم بدون زاد ؟ كيف ستتمكن من ذلك؟ أنت هنا تعتمد على قوتك.

كان –صلى الله عليه وسلم– يقول (اللهم بك أصول وبك أجول وبك أحاول وبك أقاتل)[١٦] به وحده سبحانه وتعالى لا أعتمد على أحد غيره ولا حتى على من معي من الناس، هذه اللحظات لا بد منها في الطريق لنصرة هذا الدين.

قلنا أن هذه الدروس تخاطب الذي يريد أن يعمل لنصرة دين الله –سبحانه وتعالى– (للعامل فيهن أجر خمسين)[١٧].

- تذكر الثواب.
- عدم الالتفات إلى القضايا التي تؤدي إلى السقوط والاهتمام بالمجريات، وهنا يمكن في النقطة رقم ٢ أن تقرأ كتاب "المجريات" لإبراهيم السكران.
- نقطة رقم٣ : فكر النجاة عند العجز عن فكر التغيير.
- نقطة رقم٤: المنهجية أفضل من العشوائية ولكن العشوائية أفضل من التوقف، إياك أن تتوقف.
- نقطة رقم ٥: ساعة الربانية زادك في الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى– ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص ١٧].

---

[١٦] [عن أنس بن مالك]: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا غزا قال: "اللهمَّ أنتَ عَضُدي ونَصيري، بك أجولُ، وبك أصولُ، وبك أُقاتِلُ.
شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج رياض الصالحين ١٣٢٦ • إسناده صحيح • أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٣٠)، وأحمد (١٢٩٠٩) باختلاف يسير

[١٧] تم تخريجه رقم (٥).

ليس معنى أنك إن أخذت لحظات ربانية ألا تخطط ولا تبذل وتطّلع على خطط أهل الباطل، هي موازنة. كما قال الله في سورة سبأ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[سبأ ١٠] مشهد قمة العبادة والخلوة، ثم قال بعدها مباشرة ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ * أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ ١٠-١١] بعض أهل العلم قالوا: قدر في السرد أي وهو يليّن الحديد ويضبط الحديد ليصنع الدروع، يضبطها بدقة ويضع هذه الحلقة في تلك الحلقة وتكون سابغة، أي الدقة والإحكام والإتقان في التخطيط والترتيب.

هذه الآية جمعت التوازن بين الربانية وبين أن تكون شخصًا عنده ترتيب وتنظيم وتكون شخصًا حركيًا، فأحيانا يحصل عندنا نوع من التضاد فتجد شخصًا منعزلًا تمامًا حتى يحافظ على قلبه أو شخص يتحرك ولا يدع وقتاً لقلبه تمامًا، لا أنت تحتاج أن توازن بين هاتين النقطتين.

- نقطة رقم ٦: **خطورة التفكير بسياسة الأثر الفوري للعمل** -وهذه أشرنا إليها من قبل في النقاط السابقة وسأذكر بقية النقاط بسرعة لأن أغلبها أشرنا إلى تفاصيلها من قبل- أنه من أسباب الثبات ألا تنشغل بالأثر الفوري للعمل لأن هذا خلل في مفهوم التغيير وقد ذكرنا هذا في نقطة فكر النجاة وفكر التغيير، تخلّى عن فكرة أنا سأعمل كذا كي يحدث كذا، فلنفترض أنه لم يحدث كذا؟ هل ستترك هذا العمل؟

لا، اجعل التغيير الذي تريده تغييرًا أُخرويًا. فمثلًا سبحان الله وبحمده أحدثت تغييرًا الآن في صحيفتك، في الجنة نخلة ساقها ذهب، الدعوة إلى الله أن تدعو إلى الله وينصرف الناس عنك، أحدثت تغييرًا في صحيفتك ،في درجتك في الجنة، ويأتي النبي وليس معه أحد، لا تظن أنه يجب أن يحدث نجاحًا دنيويًا، يمكن أن ترى النصر ويمكن أن تموت ولا ترى النصر.

❖ إتقان ثغر:

إذًا سريعًا، من أسباب الثبات:

- حاول اتقان ثغر ما تمسكه وتتمسك به هذا سيساعدك بالثبات لأن -وكما ذكرت من قبل- إحساسك بالنجاح في ثغر معين يجعلك تكمل فيه، فعندما تحدث حالة الانفضاض ولم تعد قادرًا على أن تكمل في الدين ككل أو نصرة الإسلام ككل؛ فلو كنت تمسك شيئًا، لو كنت تحفظ القرآن، أبسط

شيء لو كان عندك علم من العلوم الشرعية تدرسها شيء بسيط جدًا، لو أنك تدرس شيئًا في الرد على الشبهات أو أنك تعلم الناس الخير، هذا سيجعلك تكمل حتى تستعيد عافيتك وقوتك وتعود من جديد لبقية الثغور، إذًا تمسّك بشيء فعندما تأتي حالة الانفضاض لا تتراجع.

هذه كلها طرق كيفية تغيير طريقة تفكيرك حتى لا تتراجع، كان تفكيرك عاليًا جدًا وحصلت حالة من الانفضاض، كان عندك طموح عالٍ جدًا، إذا انهار ذلك هل أترك كل شيء؟، لا، بل أعود ثانية قبل فكر النجاة يمكن أن أعود لفكر الثغر.

وهكذا أصبح عندي **فكر التغيير العام**، فشلت فيه انتقل **لفكر الثغر**، فشلت فيه انتقل **لفكر النجاة**، المهم أني لا أتوقف، المهم أني لا أُلقي الراية بأني فقدت الأمل، أن الدين بعد أن كان مكوّنًا ضخمًا في حياتي، أصبح مكونًا هامشيًا، أن رسمة حياتي هكذا كما تريدها العلمانية بأن تكون الدنيا طاغية والدين داخل المسجد، في رسمة صغيرة، فأصبح الدين هكذا في حياتي، عمرة كل أربع سنين، وليمة أجهزها أو أي شيء للمساكين كل سنة، أشياء بسيطة تمدني بالدعم الروحي.

أنا هنا أكلم العامل، أما الذي كان ضائعًا وهو الآن يعمل، فهو يرتقي، أنا أكلم من كان له هم لنصرة الدين ثمّ يرجع يتراجع ويتراجع ويتراجع حتى يسقط والعياذ بالله، فهدفه أصبح ضعيف جدًا، لا بل حاول أن ترتقي إياك أن تتوقف وأن تلقي الراية وأن تنطفئ هذه الجمرة.

فمحاولة إتقان ثغر من الثغور والتمسك به لأن شعورك بالإنجاز سيجعلك تكمل وهنا يمكن أن نسمع درس "إشكاليات اختيار الثغر" ارجعوا له، أنا لا أعرف كيف أختار ثغري؟ تكلمت في بعض التفاصيل يمكن أن نحتاج إلى جزء ثاني للذي لا يعرف كيفية اختيار الثغر أو لا يجد في نفسه أيّة مواهب أيضًا يكمل في فكرة ذكرتها هناك "الدين العام".

- رقم ٧: **فكر المجموعات**:

ما هو فكر المجموعات ؟ من أسباب الثبات، نحن ذكرنا أن من أسباب الثبات محاولة اتقان ثغر من الثغور،فإن كنت لا أستطيع فعل ذلك لوحدي، كما قلنا في درس "حتى ولو لوحدك" حاول فكر المجموعات،

*فما هو فكر المجموعات؟

– الواقع القديم في السنوات القليلة الماضية، كان الواقع الإسلامي عبارة عن –ألقي نظرة عليه سريعًا– إما أن تجد شيخًا من المشايخ الكبار من أهل العلم المشهورين المنتشر أو جماعة كبيرة من الجماعات، ومع التغيرات وتحولات معينة دون الخوض في تفاصيلها لم يعد هذا موجود بالصورة المثلى عند الكثير منا.

حدث نوع من الانهيار إما بسقوط بعض الرموز أو بالتشويش عليهم أو إلقاء الشبهات عليهم، فلم يعد ذلك يتصدر، إما بسبب إشكال في الشخص نفسه أو إشكال في الشبهات التي تلقى عليه وهناك جماعات أيضًا انهارت بسبب أنهم وقعوا في فساد مبين، ودعم للظلم، وغير ذلك فبالتالي سقطوا أو أيًا كانت الأسباب كل هذا لم يعد موجودًا بصورة مرضية لنا، فماذا أفعل ؟!

– أنا أعمل مجموعات صغيرة، مجموعات صغيرة تبدأ تهتم بأمور معينة ،مجموعة علمية بسيطة، مجموعة دعوية بسيطة، مجموعة خيرية بسيطة، بحيث يسهل تحركها وتصنع نوعًا من الإنجاز، وهذا معروف دائمًا أنه مثلًا عندما تكون شاحنة النقل الكبيرة مؤلفة من مقطورتين فعندما تريد أن تتحرك تكون حركتها صعبة، على عكس العربة الصغيرة أو الذي يركب دراجة أو توك توك تجده يتحرك بسرعة.

أنا لا أقول لك كن توك توك، لكننا ليس عندنا من الإمكانيات الآن غير ذلك، فنحن الآن لا نملك تلك الإمكانيات الضخمة الكبيرة نحن الآن في أزمة، فعندما تكون في مجموعات صغيرة يسهل تحركك وتستطيع أن تأخذ خطوات للأمام، اتفاقكم سيكون سهلاً، هل نفعل كذا أم كذا؟ فلنفعل كذا، إذًا هيا نتحرك. فحاول أن توجد مجموعة بينكم نوع من التوافق ولا سيما التوافق النفسي والتوافق في الاهتمام وتبدأوا باتخاذ خطوات للأمام أيًا كانت المجموعات.

** الشيء الأخطر في قضية فكر المجموعات أننا نحتاج أن نتعلم علاقة المجموعات ببعضها، فلا تهدم بعضها البعض وإلا فإن هذا سيؤدي إلى خلايا سرطانية كثيرة في المجتمع الإسلامي. وأن علاقتهم ببعضهم البعض لا تفقدهم علاقتهم بأهل العلم، أو نسميهم النخب العلمية، أي لا يعني أنهم إن كانوا مجموعة حركية دعوية علمية –أيًا كان التصنيف– وكان هناك ارتباطًا جيدًا بين بعضهم وبأهل العلم، أن يكون لهم مرجعيات، والمرجعيات العلمية تحترم المجموعات، وهذا من التصورات.

يمكننا –إن شاء الله– أن نشرح في تصور المجتمع الإسلامي العامل لدين الله من خلال سورة الحجرات –إن شاء الله– سأحاول أن أشرحه لكم في مرة ثانية إن شاء الله، فهو تصور أيضًا قابل للنقد، فكرة أننا

حجرات، علاقة الحجرات ببعضها، علاقة الحجرات بالبيت الكبير، علاقة الحجرات بأهل العلم، كيف تكون العلاقات بيننا جيدة؛ لذلك ذكرت أن سورة الحجرات جاءت بعد سورة القتال –التي هي سورة مُحَمَّد– الذي أدى للفتح، ثمّ جاءت سورة الحجرات؛ حتى لا يضيع الفتح، فمن المهم جدًا حتى نحافظ على أية مكاسب؛ أن تكون بيننا أخلاق جيدة.

❖ كن نواة قوية:

- النقطة ٨: وأيضًا من المهم جدًا مسألة **التربية على الذاتية**، وهي من أخطر النقاط وسأختم بها إن شاء الله، كنت أود أن أزيد على هذا لكن للأسف الدرس أصبح طويلًا.

الفكرة من المحورية حتى لو كنت لوحدك، وأنك تستمر وثواب عال، ربِّ نفسك على الذاتية.

*فما معنى ربِّ نفسك على الذاتية؟

– أنا أملّ من القراءة، حاول أن تقرأ، أملّ من السماع، حاول أن تسمع، لا تدع كل اعتمادك على الغير، وقد ذكرت فكر المجموعات الصغيرة لكن حتى فكر المجموعات الصغيرة يمكن أن يفشل، ممكن أن يحدث فاصل حتى تقوم هذه المجموعة تحتاج لشخص يقودها ، فهناك شيء يسمى **ثواب الأوائل، أن تكون أنت رأس الحربة الذي يفتح الطريق لغيره**، لأن الناس تحتاج لأحد يمهد لهم الطريق، من الذي سيمهد لهم الطريق؟

فلو جلسنا جميعنا وأنا أقول فكر المجموعات الصغيرة، فماذا أحتاج؟ أنا أحتاج مجموعة صغيرة أنضم إليها، فمن الذي سينشئ هذه المجموعة؟ لو ظللت أنتظر المجموعة الصغيرة حتى تنشأ، وأنت تنتظر هذه المجموعة الصغيرة حتى تنشأ، وهو ينتظر المجموعة الصغيرة حتى تنشأ، سنظل جالسين ولن يحدث أي تغيير، يجب على أحد أن يدفع ثمن هذا، يجب على أحد أن يقوم ويضحي ويحاول تجميع الناس ويلح على هذا، ويصبر على مضايقة هذا، وعلى كسل هذا، وعلى بذل هذا القليل، وعلى مواعيد ذلك غير المنضبطة، وعلى هذا الذي يعدني ولا يأتي، وهذا الذي جاء ليأكل فقط.

لا مشكلة في ذلك، فالصبر على هؤلاء ومحاولة تجميع الناس واقتراح الأفكار عليهم، يجب أن يكون هناك شخص لديه ذاتية، لأن العمل لن يبدأ إلا بوجود شخص لديه نوع من الذاتية، فبالتالي فكرة زرع الذاتية والتربية عليها بالضبط كالذي يلعب رياضة معينة، سيتعب ويرهق ولكن سيقاوم ما يكره، أنت

تقول لي ابنِ نفسك علميًا، لكن لا يوجد مشايخ، حسنًا، اسمع هذه السلسلة، مثلًا في باب معين من أبواب الفقه، أو في الفقه مُرّ على الفقه.

من كم درس تتألف السلسلة ؟

١٦٠ درسًا، ماذا؟! هل أسمع ١٦٠ درسًا بمفردي! لا أنا حتى أصلي الفرض أحتاج شخصًا يتابعني!

فيجب علينا تعلم هذا، يجب أن يكون هناك أحد عنده بناء ذاتي. على فكرة حتى من كان يذهب للمشايخ عندما كانت الدنيا مفتوحة ويطلب العلم أو حتى من قديم الزمن؛ الذي يتوقف عند الحد الذي يضعه له شيخه –لأن الشيخ لن يعطيك كل شيء– هذا لا يرتقي، الشخصيات التي ترتقي وتقود هي التي لديها ذاتية.

أي الشخصيات التي تجمّع الناس، هي التي لديها ذاتية، على فكرة هذا ينطبق على كل شيء حتى لو أردنا لعب الكرة، أن ينزل شخص ويحجز ويجمّع ويكلّم، **دائمًا هناك شخص يتحرك في أي شيء في الدين أو في الدنيا، كن أنت هذا الشخص في زمن الفتن، في زمن الانفضاض، كن أنت الذي تسير على درب النبي –صلى الله عليه وسلم– وتستحضر كلمة ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة ١١]** كن أنت القائم الذي يرجع الناس إليه؛ عندما انفض الناس من الخطبة لما رجعوا وجدوا النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ ماذا؟ ﴿قَآئِمًا﴾ كن أنت هذا الشخص الذي يثبُت ويكون النواة التي سيعود الناس للالتفاف حوله من جديد.

كن أنت الذي يبدأ المجلس في المسجد الذي يفتح كتاب، أي كتاب رياض الصالحين مثلاً ويقرؤه والناس تلتف حوله، كن أنت من يبدأ بالعمل الخيري، كن أنت الذي يجمّع خمسين جنيه ويعطيها لأسرة فقيرة، كن أنت البداية، كن أنت النواة.

الناس تحتاج لأنوية تلتف حولها، وهذا من أحد التصورات للحياة؛ هناك أنوية وهناك أناس تلتف حولها، وحسب قوة النواة وذاتية النواة ونور النواة القوي؛ سيكون العدد الذي يلتف حولها أكبر، فهنا يوجد نواة ويلتف حولها ناس، وهنا يوجد نواة أيضًا، يجب أن تكون علاقة هذه الأنوية ببعض جيدة، وأن نسمح لأحد أن يلتف حول هذه النواة وتلك النواة، ويحدث نوع من التقارب بين هذه الأنوية.

** فكن أنت نواة قوية يلتف حولها الناس، كن أنت من الناس الذين لديهم ذاتية، هذا سيثبتك وسيشجعك، وتذكُّر ثوابه سيساعدك في أن تكمل بإذن الله عزَّ وجل.

عذرًا أنا أطلت عليكم، قد يقول أحدكم: أنت لم تقل لنا أسبابًا مقنعة، أنا توقعت أن تقول لي مثلا الدعاء، الحفاظ على كذا، أن تفعل كذا، أن تفعل واحد اثنين ثلاثة، لا أنا أناقش أفكار أغلب الذين أريد مخاطبتهم يعرفونها ويدرسونها وكتبوها وقالوها، بالطبع الدعاء والافتقار هذا من أهم الأمور، لكن أنا هدفي أن أناقش بعض القضايا التي ستساعدنا في ثبات بعض المفاهيم التي من الممكن أن تكون خطأ فبالتالي عندما نصلحها ستساعدنا في الثبات. أرجو أن يكون هذان الدرسان –الحَور بعد الكَور واحد واثنين– ساعدانا على الثبات في الأزمات التي نمر بها.

لا بد أن نلهج بالدعاء؛ اللهم إنا نعوذ بك من الحَور بعد الكَور، اللهم ارزقنا الثبات، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، نلهج بالدعاء ونفتقر إلى الله –سبحانه وتعالى–، والنصيحة الختامية إياك أن تتوقف، إياك أن تلقي الجمرة من يدك، إياك أن تطفئ الجمرة التي بداخلك، إياك ثم إياك، استمر إلى أن تموت ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[الحجر ٩٩].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وجزاكم الله خيرًا.